مَوَاهِبُ الدَّيَانْ

شرح وَصِيةَ الإِخْوَانْ

العنوان / مواهب الديان شرح وصية الإخوان

عدد الصفحات / (٧٨)

تأليف الشيخ العلامة / محمد أحمد محمد عاموه

الإخراج والتصميم الفني / أكرم عمر علي السلموني

رقم التسلسل / لدار الأشاعرة للنشر والتوزيع (١٠١٤)

الطبعة الثالثة ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م



مَوَاهِبُ الدَّيَانْ

شرح وَصِيةَ الإِخْوَانْ

لفضيلة الشيخ العلامة

مُحَمَّدِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ عَامُوهْ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا شرح لطيف كتبته على الأرجوزة المباركة التي نظمها العلامة الحسيب النسيب الأديب الأريب السيد عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي الحسيني الحضرمي الشافعي المولود بتريم حضرموت سنة ١١٩١هـ المتوفى بالمسيلة قرب تريم سنة ١٢٧٢هـ المكونة من ثلاثين بيتاً المشتملة على جملة بديعة من النصائح والفوائد والإرشادات الدينية العظيمة وقد اشتهرت هذه الأرجوزة المباركة بوصية الإخوان وقد اعتنى بها العلماء في تهامة عناية فائقة فحرصوا على تحفيظها للصغار وكانت مقررة في المعلامة (مدارس القرآن الأهلية) وكانت من جملة المنظومات التي يرددها الكبار في المناسبات الدينية في المساجد والله أرجو أن يكتب لشرحي هذا القبول بمنه وكرمه إنه أعظم مأمول وأكرم مسئول ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معنى الوصية ووجوب طاعة الله عز وجل

١ - أوصيكم يا معشر الإخوان　　　عليكم بـطـاعـة الـديـان

شرح البيت رقم(١)

(أوصيكم) الوصية: هي الإيصاء وتطلق لغة: بمعنى العهد إلى الغير في القيام بفعل أمر، يقال أوصاه ووصاه توصية أي عهد إليه والاسم الوصَاة والوِصاية والوصية وهي الموصى به أيضاً ، وقد يكون هذا العهد بمعنى الأمر المؤكد كقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١) وكقوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (العنكبوت: ٨).

والوصية في اصطلاح الفقهاء: تمليك مضاف إلى ما بعد الموت كما في ملتقى الأبحر والمراد بالوصية هنا النصح والإرشاد والتوجيه لفعل الخيرات وما فيه الصلاح والتحذير من الغرور والجهل والوقوع في المنكرات والنصح معناه تحري قول أو فعل فيه صلاح وخير للمنصوح والإيصاء سنة قديمة وعظيمة تكرر ذكرها في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء رحمهم الله تعالى فمن وصايا الله عز وجل لنا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١) .

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام١٥٠ – ١٥٣) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ مريم: ٣١

ومن وصايا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (البقرة) .

ومما يدل على أنَّ النصح وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأعراف) .

وقوله عز وجل عن هود عليه السلام ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف) .

ووصايا نبينا وحبيبنا وشفيعنا ورسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة أفردها العلماء بالتأليف والتصنيف ومن جملة وصاياه صلى الله عليه وسلم حديث العرباض بن سارية وفيه (أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضو عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح .

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم (أوصني قال (لا تغضب) فردد مراراً قال (لا تغضب) ومما يدل على عظم حرصه صلى الله عليه وسلم على وصية أمته بما ينفعها قوله في مرض وفاته (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) .

وقوله (استوصوا بالنساء خيرا) ، بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين كله في النصيحة كما في صحيح مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الدين النصيحة) كررها ثلاثاً قلنا لمن يا رسول الله قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

وحديث جرير بن عبد الله البجلي في الصحيحين قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

وسار على هذا الدرب درب النصيحة العلماء والصلحاء رضي الله عنهم فقد ذكر الله عز وجل في محكم كتابه وصايا لقمان علية السلام لابنه ومن وصايا الصحابة رضوان الله عليهم وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حضرته الوفاة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ونصها كما في الحلية لأبي نعيم (اتق الله يا عمر واعلم أن لله عز وجل عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأَنَّهُ لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحُقّ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحُقّ لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفا ، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف أن لا ألحق بهم وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوء أعمالهم ورد عليهم أحسنه فإن ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمته عز وجل فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه

ومن وصايا الفاروق عمر رضي الله عنه قوله:(عليكم بذكر الله عز وجل فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء) رواه أحمد في الزهد .

وكانت وصية عثمان رضي الله عنه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث إن شاء الله عز وجل) كذا في وصايا العلماء عند حضور الموت للحافظ أبي سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر الربعي توفي ٣٧٩هـ .

ومن وصايا الإمام علي رضي الله عنه قوله لبعض أصحابه: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنباً فهو تدارك ذلك بتوبة أو رجل يسارع في الخيرات ولا يقِّل عمل في تقوى وكيف يقل ما يُتقبل) رواه أبو نعيم في الحلية.

ووصايا العلماء لتلاميذهم كثيرة ومدوّنة فمن ذلك وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه لأبي يوسف رحمه الله ، ووصية الإمام الغزالي أيها الولد من الوصايا المشهورة وكتب العلامة ابن الجوزي رحمه الله وصية لولده سماها نصيحة الولد ومن عظيم المؤلفات في هذا الباب كتاب النصائح الدينية والوصايا الإيمانية للإمام الحداد رحمه الله وما عمله السلف والخلف من الكتابة والتصنيف في الوصايا ما هو إلاّ امتثال لقول الحق عز وجل آمراً لنا بالتواصي ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ (العصر) .

وقوله تعالى ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ ﴾ (البلد).

لذلك قرروا أن خير الناس أنصحهم لعامتهم ، قال الإمام القدوة الواعظ الحجة أبو عبد الله بكر بن عبد الله المزني البصري أحد الأعلام لو قيل لي خذ بيد خير أهل المسجد لقلت دلوني على أنصحهم لعامتهم .

(يا معشر) يا حرف نداء ، معشر قال أهل اللغة: معشر الرجل أهله قال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد نحو معشر المسلمين ومعشر المشركين ومعناه الجمع لا واحد له من لفظه .

(الإخوان) جمع أخ والمراد بهم هنا أهل الإسلام قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله...) رواه مسلم فهذه النصيحة المباركة لعامة المسلمين.

(عليكم) اسم فعل ورد بمعنى الأمر وهو من أسماء الأفعال السماعية بمعنى الزم.

(بطاعة الديان) أمر للمنصوحين بطاعة الله عز وجل وطاعة الله عز وجل واجبة على كل مكلف شرعاً وهي الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً سراً وعلناً في كل ما أمر به ونهى عنه وضدها العصيان ، ولا تتم طاعة الله عز وجل إلا بطاعة خاتم رسله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قرن الله تعالى طاعته بطاعته وأمر العباد بهما ورتب الفوز العظيم والسعادة الخالدة عليهما والخسران المبين والشقاوة على

تركهما فقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾ (محمد)

وقال تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ (النساء) .

وقال عز وجل ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النور) .

وقال تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ (النساء) .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأنفال) .

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾

وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

وقال تعالى ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ .

قال القاضي عياض رحمه الله قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول التزام سنته والتسليم لما جاء به وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليهم وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأحزاب).

فتمنو طاعته حيث لا ينفعهم التمني ا هـ ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) .

وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) .

فأساس الطاعة الإيمان بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوامها فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، عن رضا وقبول وإذعان وتسليم.

و(الديان) القهار والحاكم والمجازي الذي لا يُضيعُ عمل عامل من ذكر أو أنثى وهو رب العالمين وأعدل الحاكمين يجزي بالخير خيرا وبالشر شرا قال تعالى ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الصافات) .

وقال تعالى ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ (النجم) .

وقال تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة) .

وقال عز وجل ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت).

حفظ الوقت

٢- إياكم أن تهملوا أو قاتكم   فـتـنـدمـوا يوماً على ما فاتكم

شرح البيت رقم(٢)

بعد أن حث الناظم رحمه الله على طاعة الله عز وجل حذر من العصيان وإضاعة الزمان فقال رحمه الله (إياكم) أي احذروا (أن تهملوا أو قاتكم) أي تضيعوا ساعات أعماركم في اللهو واللعب والعصيان طاعةً للنفس الأمارة بالسوء وانقياداً للشيطان واتباعاً للهوى واستجابةً للشهوات واغتراراً بباطل الأماني وكاذب الآمال وإعراضاً عن طاعة الله ورسوله التي هي سر فلاحكم وطريق نجاتكم ومفتاح سعادتكم (فتندموا) أي تتأسفوا وتتحسروا على ما فاتكم (يوما) أي يوم القيامة يوم الدين والجزاء المشار إليه في قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة) .

وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (آل عمران).

وقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (عبس) .

وقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ (النبأ) .

وقال عز وجل ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء) .

وهو يوم الندم والحسرة قال الله تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾(مريم) .

وكما يندم في هذا اليوم الجاحدون يندم فيه العصاة من المؤمنين ويتحسرون لما اجترحوا من السيئات وما اضاعوا من الطاعات وما حرموه من المثوبات وما يجدي التندم والتحسر فيوم القيامة يوم الفصل والقضاء المحتوم فاحرص أخي في دنياك على اغتنام الوقت في الطاعة وما يقربك من رضوان الله عز وجل فعمرك رأس مالك وهو محل سؤال الله عز وجل يوم القيامة كما روى الإمام الترمذي عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وقال هذا حديث حسن صحيح .

فقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن العمر هو مناط المحاسبة والمساءلة يوم القيامة وهو تفسير لقوله عز وجل ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون) .

ولله در الإمام الغزالي رضي الله عنه حيث قال في بداية الهداية (وأوقاتك عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهر لا قيمة له إذ لا بدل له

فإذا فات فلا عودة له ، فلا تكن كالحمقى الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأي خير في مال يزيد وعمر ينقص؟

فلا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل فإنهما رفيقك يصحبانك في القبر حيث يتخلَّفُ عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك) ا هـ .

ولله در العارف بالله سيدي ابن عطاء الله السكندري حيث يقول رحمه الله في كتابه تاج العروس (لا تنفق أنفاسك في غير طاعة الله ولا تنظر إلى صِغَرِ النَّفَس بل انظر إلى مقداره وإلى ما يعطي الله فيه للعبد فالأنفاس جواهر وهل رأيت أحداً يرمي جوهرة على مزبلة؟) ا هـ .

وقال سيدي الإمام الشافعي رضي الله عنه صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهم يقولون (الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله بعد نقله كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه ما نصه (يا لهما من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته ويكفي في هذا ثناءات الشافعي رضي الله عنه على طائفة هذا قدر كلامهم ، وإذا أراد الله بالعبد خيراً أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له وإذا أراد به شراً جعل وقته عليه وناكده وقته فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده الوقت والأول كلما همَّت نفسه بالقعود أقامه الوقت وساعده) ا هـ مدارج السالكين ، ويقول سيدي الإمام أبو النصر الطوسي السرّاج توفي ٣٧٨هـ .

(وأما أهل الخصوصية ـ يعني الصوفية ـ فأكثر آدابهم في طهارة القلوب .... وحفظ الوقت) ا هـ من الرسالة القشيرية وما أحسن قول الوزير الصالح يحي بن هبيرة

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه   وأراه أسهل ما عليك يضيعُ

فاحفظ وقتك واغتنم عمرك تفز فوزاً كبيراً.

اغتنام مرحلة الشباب

٣- وإنما غنيمة الإنسان شبابه والخسرُ في التوانِ

شرح البيت رقم (٣)

لما بين الناظم رحمه الله وجوب طاعة الله عز وجل على جميع المكلفين وحذّر من التقصير فيها وحذر من إضاعة العمر فيما لا ينفع في الآخرة خصّ الشباب بالذكر وحثهم على اغتنام فترة الشباب وصرفها في رضوان الله عز وجل وحذرهم من التسويف فيها فقال (وإنما غنيمة الإنسان شبابه) والشباب زمن الحداثة والقوة ومرحلة الشباب هي غنيمة عمر الإنسان إذا قضاها في طاعة الله عز وجل ومرضاته ، (والخسر) بالضم والفتح النقص والهلكة والخسران قال تعالى ﴿ وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ ﴾ (الطلاق).

(والتوانِ) التريث والتباطؤ فضياع مرحلة الشباب خسران وأي خسران ولأن مرحلة الشباب مهمة جاء تخصيصها بالمساءلة يوم القيامة وأخرج البزار والطبراني في الكبير بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعلمه ماذا عمل به) .

فتأمل كيف جعل العمر محلاً للمساءلة ثم خص مرحلة الشباب من العمر فجعلها كذلك محلاً للمساءلة ، وقد روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى لله عليه وسلم لرجل وهو يعظه (اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) قال الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

فالعمر الحقيقي الفعال هو في سن الشباب ذلك أن الشباب هو ميدان العمل والتحصيل كما هو ميدان الإنتاج والإعطاء فالقوة وافية والهمة عالية والأمراض والعِلل والعوائق لقلة العلائق نائية .

وقد كانت التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين تقول (يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب) .

وقال مالك بن دينار (إنما الخير في الشباب) وقال الزمخشري في الكلم النوابغ (المرأُ عنوان أمره عُنْفُوان عمره) أي أن حاله في الشباب الذي هو حال القوة والنشاط هي عنوان وعلامة لحاله بقية حياته ا هـ . من قيمة الزمان للعلامة أبي غده رحمه الله بتعليق ولده العلامة سلمان حفظه الله .

فضيلة الطاعة والتقوى

٤- ما أحسن الطاعات للشبان   فاسعوا لتقوى الله يا إخواني

شرح البيت رقم (٤)

نعم (ما أحسن الطاعات للشبان) في زمن شبابهم ولا أدل على هذا المقام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) رواه البخاري ومسلم .

فانظر أيها الشاب كيف تنجو ببركة الطاعة لله عز وجل من أهوال يوم القيامة بوقوفك يوم القيامة في ظل الله عز وجل آمناً مستريحاً من ذاك العناء العظيم في يوم الطامة والصاخة والقارعة والحاقة والمراد بظل الله كرامته وكنفه ورعايته وحفظه وستره.

(فاسعوا لتقوى الله يا إخواني) سعياً حثيثاً والتقوى لغة: تأتي بمعنى الحفظ والصيانة والاحتراز والعمل على تجنب الضرر ليكون الإنسان في منجاة وسلامة .

واصطلاحاً: لها عدة تعاريف نتبرك بذكر بعضها :

١- قال الإمام علي رضي الله عنه (التقوى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل) وقال أيضاً (التقوى أن يجدك الله حيث أمرك وأن يفقدك حيث نهاك) وقال طلق بن حبيب (التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله) نقله القشيري في الرسالة قال أبو القاسم القشيري (وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته)ا هـ الرسالة القشيرية وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله (التقوى فعل الواجبات وترك المحرمات وهي وصية الله في الأولين والآخرين) ا هـ شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام رحمه الله أقول نعم التقوى هي وصية الله في الأولين والآخرين قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١)) .

ونقل الإمام الفيروز أبادي رحمه الله في بصائر ذوي التمييز نصاً عظيماً في الوصية بالتقوى فقال قال بعض المريدين لشيخه أوصني قال أوصيك بما أوصى الله تعالى الأولين والآخرين وهو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١) .

قال الشيخ أبو حامد رحمه الله (أليس الله سبحانه أعلم بصلاح العبد من كل أحد ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للأجر وأجلّ في العبودية وأعظم في القدْر وأولى في الحال وأنجح في المآل من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله سبحانه أمر بها عباده

وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته ورحمته فلما أوصى بهذه الخصلة جميع الأولين والآخرين من عباده واقتصر عليها علمنا أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وأنه عز وجل قد جمع كل محض نصح ودلالة وإرشاد وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته فهي الخصلة الجامعة لخير الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات وهذا أصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن أبصر واهتدى وعمل واستغنى والله ولي التوفيق) ولقد أحسن القائل:

من عـرف الله فلـــم تغنه   معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى   والعز كل العز للمتقى

ا هـ بصائر ذوي التمييز.

أقول والوصية بالتقوى من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ التقوى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه خاصة ولكل مسلم عامة ، روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد سفرا فقال يا رسول الله أوصني قال (أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف) .

وروى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاءه فقال أوصني فقال (سألت عما سألتُ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه

رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:(ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما أقول بعد فلما كان اليوم السابع قال أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته إذا أسأت فأحسن ولا تسأل أحداً شيئاً وإن سقط سوطك ولا تقبض أمانة ولا تقضِ بين اثنين) .

وروى أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

وروى الترمذي والبخاري في تاريخه عن زيد بن سلمة الجعفي قال صلى الله عليه وسلم (اتق الله فيما تعلم) وروى أبو قرة الزبيدي في سننه عن طليب بن عرفه كما في الفتح الكبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اتق الله في عسرك ويسرك) .

وروى الطبراني عن مخول السلمي كما في الفتح الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتق الله وأقم الصلاة وآت الزكاة وحج البيت واعتمر وبُرَّ والديك وصِل رحمك وأقرِ الضيف وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وزُل مع الحق حيثما زال) .

وروى ابن حبان في صحيحه عن جابر بن سليم الجهني كما في الفتح الكبير قال صلى الله عليه وسلم (اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً.... ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (اتقوا الله وصلوا خمسكم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (اتقوا الله ولو بشق تمرة) .

وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الدعاء وسؤال التقوى وذلك فيما رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) ، وقد كشف الرسول صلى الله عليه وسلم عن السر الكامن في التقوى حين قال التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد أمر الله عز وجل عباده بالتقوى فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (آل عمران) .

وقال عز وجل ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (التغابن: ١٦) والتقوى زاد الآخرة وقال تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ (البقرة).

وللتقوى ثمرات عظيمة منها :

١- معية الله عز وجل التشريفية المفسرة بالعون والنصرة من الله عز وجل قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل) وقال عز وجل ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (البقرة) يعينهم ويوفقهم ويرضى عنهم وينعم عليهم.

٢- الكرامة عند الله والبشارة قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ (يونس: ٦٣ - ٦٤).

٣- إشراق القلوب بنور الفرقان و تكفير السيئات والغفران قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٩) .

٤- العلم والحكمة اللدنية قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) .

٥- كفارة الذنوب وتعظيم المتقي بتعظيم أجره قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ (الطلاق).

٦- المغفرة من الذنوب قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنفال).

٧- اليسر والسهولة في الأمر قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الطلاق) .

٨- الخروج من الغم والمحنة قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ ﴾ (الطلاق) .

قال ابن عباس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية وقال (مخرجا من مهمات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة) نقله الفيروز أبادي في البصائر.

٩- الرزق الواسع بأمن وفراغ قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق: ٢ – ٣).

١٠- الفوز بالمراد قال تعالى ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١ ﴾ (الزمر) وقال تعالى ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ ﴾ (النبأ).

١١- النجاة من العذاب والعقوبة في الآخرة قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ . (مريم: ٧١ – ٧٢) .قال الإمام الغزالي في الإحياء وإنما النجاة بالتقوى.

١٢- الشهادة لهم بالصدق قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ (البقرة).

١٣- الأكرمية عند الله عز وجل قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(الحجرات: ١٣) .

وأكد هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

١٤- محبة الله للمتقين قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ (التوبة).

١٥- الفلاح للمتقين قال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ (البقرة).

١٦- نيل الوصال والقربة عند الله تعالى قال عز وجل ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج: ٣) .

١٧- نيل الجزاء بالمحبة والأمن من المضرة قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾ (يوسف).

وقال تعالى ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ .
(آل عمران: ١٢٠).

١٨- قبول العمل الصالح قال عز وجل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ (المائدة).

١٩- يولد تعظيم شعائر الله قال تعالى ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحج).

٢٠- بشارة المتقين بالجنات والعيون قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (الذاريات) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (الطور) .

وقال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر) .

وقال عز وجل ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (القلم) .

وقال عز وجل ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المرسلات).

٢١- الأمن من البلية قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (الدخان).

٢٢- العز والفوقية على الخلق قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (البقرة: ٢١٢) .

٢٣- زوال الخوف والحزن من العقوبة قال تعالى ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأعراف).

٢٤- إكرام المتقين بالأزواج الموافقة لهم قال تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (النبأ).

٢٥- قرب الحضرة واللقاء والرؤية لله تعالى في الجنة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر).

٢٦- المتقون هم أولياء الله سبحانه وتعالى ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنفال).

٢٧- هم آل النبي لحديث أنس قال قيل يانبي الله من آل محمد(قال كل تقي) رواه الطبراني كما في الفتح للحافظ والمرقاة لملا القاري .

٢٨- الخلود في الجنة قال تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (آل عمران) فكأنها خاصة بهم ، قاله الفيروز أبادي في البصائر.

ويلخص الإمام الفيروز أبادي رحمه الله آثار التقوى وثمارها فيقول واعلم أن التقوى كنز عظيم إن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعِلْقٍ نفيس وخير كثير ورزق كريم وغُنمٍ جسيم وملك عظيم فهي الخصلة التي تجمع خير الدنيا والآخرة وتأمل ما في القرآن من ذكرها (١) كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم أضاف إليها من سعادة ا هـ .

(اللهم حققنا بحقيقة التقوى بفضلك وكرمك(آمين)

١ - وردت كلمة المتقين في القرآن الكريم ٤٣ مرة وكلمة المتقون ٦ مرات وكلمة التقوىٰ ١٥ مرة والأمر بالتقوىٰ فليتقوا ـ اتق ـ اتقوا ـ ٧٣ مرة وبقية مشتقات التقوىٰ ٨٣ مرة أفاده العلامة محمد الزحيلي في رسالته التقوىٰ ، حقيقتها ، حكمها ، آثارها)) .

ملازمة الطاعة والذكر

٥- واعمروا أوقاتكم بالطاعة   والذكر كل لحظة وساعة

شرح البيت رقم(٥)

(واعمروا) فعل أمر من أعمر الله منزلك أي جعله عامراً غير خرب وفي نسخة وعمِّروا بكسر الميم المشددة (أوقاتكم) جمع وقت والوقت في اللغة: مقدار من الزمان مفروض لأمر ما ، أو نهاية الزمان المفروض للعمل وكل شيء قدرت له حينا فقد وقته توقيتا .

والوقت اصطلاحاً: كما عرفه البركتي رحمه الله المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل في الماضي ، وقيل هو مقدار من الزمن المفروض لأمر ما ، وقيل للعمل .

(والطاعة) ضد المعصية وقد سبق معناها .

(والذكر) لغة: مصدر ذكر الشيء يذكره ذِكرا وذُكرا وقال الكسائي الذكر باللسان ضد الإنصات ذاله مكسورة وبالقلب ضد النسيان وذاله مضمومة وقال غيره بل هما لغتان وهو يأتي في اللغة لمعان الأول الشيء يجري على اللسان أي ما ينطق به ، يقال ذكرت الشيء أذكره ذكرا وذُكرا إذا نطقت باسمه أو تحدث عنه ومنه قوله تعالى ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾ (مريم)

والثاني استحضار الشيء في القلب ضد النسيان قال تعالى حكاية عن فتى موسى ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾(الكهف: ٦٣).

أما في الاصطلاح فيستعمل الذكر بمعنى ذكر العبد لربه عز وجل سواء بالإخبار المجرد عن ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه أو بتلاوة كتابه أو بمسألته ودعائه أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه وتمجيده وتوحيده وحمده وشكره وتعظيمه ويستعمل الذكر بمعنى أخص من ذلك فيكون بمعنى إنشاء الثناء بما تقدم دون سائر المعاني الأخرى المذكورة ويشير إلى الاستعمال بهذا المعنى الأخص قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت:٤٥) .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل (من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين) رواه الترمذي وقال حسن غريب .

فجعلت الآية الشريفة الذكر غير الصلاة على التفسير بأن نهي ذكر الله عن الفحشاء والمنكر أعظم من نهي الصلاة عنها ، وجعل الحديث الشريف الذكر غير تلاوة القرآن وغير المسألة وهي الدعاء وهذا الاستعمال الأخص هو الأكثر عند الفقهاء حتى أن العلامة ابن علان رحمه الله ذهب إلى أنه الحقيقة وأن استعماله لغير ذلك من المعاني مجاز فقال رحمه الله أصل وضع الذكر هو ما تعبدنا الشارع بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه و(اللحظة) الجزء اليسير من الزمان (والساعة) في اللغة: الوقت من ليل

أو نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قل والساعة أيضا جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار لأن زمنهما أربعة وعشرون ساعة ، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي والصلة بين الوقت واللحظة والساعة أن كلاً منها مقدار من الزمن ، وحاصل البيت حث الناظم على إعمار المكلف وقته بطاعة الله عز وجل وإدامة ذكره سبحانه وتعالى في كل لحظة وساعة ، والذكر محبوب مطلوب من كل أحد مرغب فيه في جميع الأحوال إلا في حالٍ ورد الشرع باستثنائها كحال الجلوس على قضاء الحاجة وحال سماع الخطبة وما شابه ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه والحديث ودليل استحبابه أن الله عز وجل أمر به في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (البقرة) وقال تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت: ٤٥) .

وقال عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد) .

وقال تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأحزاب) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة) .

وقال عز وجل ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (الأعراف) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ (النساء: ١٠٣).

وقال عز وجل ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ (ق).

وقال في وصف عباده الصالحين ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ (آل عمران: ١٩١).

وقال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ (الأحزاب).

وقال لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ (الكهف: ٢٨).

وقال عز وجل محذراً من ترك ذكره ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ (الزخرف).

وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾ (المنافقون) .

وقال في ذم المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢ ﴾ (النساء) ،.

ونهى الله عن الغفلة عن ذكره فقال ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩ ﴾.

وقال تعالى ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝١٩ ﴾ (المجادلة) .

وقال تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ ﴾ (النور).

والآيات في الباب كثيرة وفيما ذكرنا كفاية لمن له بصيرة .

وأما النصوص النبوية الدالة على فضل الذكر فكثيرة منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبراً

تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح وزاد في آخره قال قتادة (والله أسرعُ بالمغفرة).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمرّ على جبل يقال له جُمدانُ فقال (سيروا هذا جُمدانُ سبق المفرّدون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا) ورواه الترمذي ولفظه يا (رسول الله وما المفردون ؟ قال المستَهتَرون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافا) قال الحافظ المنذري

و المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المستهترون بفتح التاءين المثناتين فوق ، هم المولعون بالذكر المداومون عليه لا يبالون ما قيل فيهم ولا ما فُعِل بهم .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت) ورواه مسلم (بلفظ مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت) .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرني بشيء أتشبث به؟ قال (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى) رواه الترمذي وقال حسن غريب ومعنى رطباً مبلّلاً ليناً بذكر الله عز وجل .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله) رواه الترمذي وقال الحاكم أبو عبد الله إسناده صحيح قاله النووي .

قال معاذ بن جبل (ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله) رواه أحمد بإسناد حسن قاله المنذري وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال أهل مجالس الذكر) رواه أحمد بإسنادين وأحدهما حسن قاله الهيتمي في مجمع الزوائد .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) اللهم اجعلنا من أهل ذكرك (آمين).

فائدة:

يطلق الذكر على القرآن والهدى قال عز وجل ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ (الأنبياء: ٥٠) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر) وقال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾ (النحل: ٤٤).

فائدة:

وأطلق الذكر على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا ﴾ (الطلاق: ١٠ - ١١).

فالذكر هنا وصف للرسول صلى الله عليه وسلم.

فائدة:

والذكر الذي تطمئن به القلوب وتزكو وبه تنشرح الصدور وتصفوا وبه تنطلق الألسنة هاتفة وتتحرك الجوارح خاضعة وبه الفوز بمقعد الصدق عند المليك الحق.

• يكون بالقلب وهو التفكر في آلاء الله على نحو ما قدمناه وفي دلالة مخلوقاته على عظيم قدرته وبديع صنعته وبالغ حكمته.

• ويكون باللسان وهو القول الدال على التسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد المواطىء لما في القلب ، ومنه الدعاء والابتهال إليه تعالى والرجاء منه وهذا الذكر يكون سراً وجهراً وعلى انفراد وفي جماعة وفي المسجد وغيره وفيه صيغ مأثورة ويجوز بغير المأثورة وإن كان بالمأثور أفضل.

• ويكون بالجوارح غير اللسان وذلك بستخدامها في الطاعات وتسخيرها فيما خلقت لأجله من العبادات وإخضاعها لكل ما هو حق لله تعالى على عبده .

الندم على ضياع الوقت

٦- ومن تفته ساعة من عمره تكن عليه حسرة في قبره

شرح البيت رقم(٦)

بعد أن حث الناظم رحمه الله على الطاعة والتقوى ودوام ذكر الله عز وجل حذر من إهمال ذلك وبين أن عاقبة إهمال ذلك هو الحسرة والندامة فقال (ومن تفته) من الفوت وهو الضياع (ساعة من عمره) أي زمناً ولو يسيراً من عمره (تكن عليه) تلك الساعة (حسرة) وندامة (في قبره) .

وحاصل المعنى أن من ضيع زمناً ولو يسيراً من عمره في الغفلة عن طاعة الله وذكره وتقواه في أقواله وأعماله وسائر أحواله حال كونه مقبلا على ملذاته وشهواته غافلاً عن ربه فقد خسر خسراناً مبينا وألقى بنفسه إلى التهلكة وسيندم ويتحسر في قبره على ما فرط منه في حياته حين ينكشف عنه غطاؤه فيبصر ما أعد الله للطائعين من النزل والكرامة وما أعد للعاصين من الذلة والمهانة وتأمل قول الحق ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (طه) .

وتأمل قول الحق سبحانه ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(الزمر) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تره فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وهو عند أبي داود بلفظ (من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كان عليه من الله تره ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترة)، والترة بكسر التاء المثناة فوق وتخفيف الراء هي النقص وقيل التبعة وعند أحمد بإسناد صحيح .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله عز وجل فيه ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب) .

وعند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة) ، قوله جيفة حمار جثة حمار منتنة .

وروى الطبراني في الأوسط والكبير ورجالهما رجال الصحيح كما في المجمع للهيتمي عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة) أخرجه الستة إلا أبا داود نعوذ بالله من حسرة في القبر ونعوذ بالله من حسرة في القيامة (اللهم اعمر أوقاتنا بطاعتك وذكرك وتقواك) . (آمين اللهم آمين) .

سعادة من حفظ وقته

٧- من يكن فرّط في شبابه	حتى مضى عجبت من تبابه
٨- يا سعادة امـرئ قضاه	في عــمل يرضـي بـه مولاه

شرح البيتين رقمي (٧-٨)

(من يكن) من المكلفين (فرّط) بتشديد الراء قصر (في شبابه) وضيعه في الغفلة عن الله (حتى مضى) شبابه (عجبت) أي تعجبت (من تبابه) التباب الاستمرار في الخسران والنقص قال تعالى ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (غافر) .

أي في خُسرٍ ونقصان وقال عز وجل ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

أي خسارة ونقص (و يا سعادة امرئ) أي إنسان (قضاه) أي زمن الشباب (في عمل يرضي به مولاه) وخالقه عز وجل وحاصل المعنى أن من ضيع شبابه في الهوى والزلل وقصر فيه عن صالح القول والعمل حتى انقضى ذلك الزمان وانصرم فعقباه خسران وندم وما أعجب أمر من كان هذا شأنه وحاله حيث أقبل على ما نهاه عنه ربه وأدبر عما أمره به ربه ونسي التحذير والوعيد وغفل عن الآخرة وما فيها من الهول الشديد وفي المقابل من قضى شبابه في طاعة الله عز وجل واستدام العمل الصالح فما أسعده برضا مولاه في الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل) .

(اللهم اجعلنا من عبادك المتقين المحسنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . (آمين)

طاعة الشباب

٩- أحب ربي طاعة الشبان   يا فوزهم بجنة الرضوان

شرح البيت رقم (٩)

طاعة الله عز وجل محبوبة عند الله عز وجل وهي من أسباب رضاه عز وجل عن العبد ، والطاعة طريقك إلى الفوز برضوان الله عز وجل والطاعة مطلوبة من جميع المكلفين وإنما خص الناظم الشبان لأن زمن الشباب هو زمن الغواية والافتتان واشتعال القوى واضطرام نار الغرائز والجنوح الشديد إلى الشهوات واللذائذ مع قوة الأمل وفسح الأجل .

فالطاعة في زمن الشباب تكون بالمجاهدة للنفس وكبح جماحها ومعاناة خطامها عن ميولها ورغباتها ولا يقوى الشباب على ذلك إلا بجهد جهيد وعزم شديد وإرادة قوية صادقة فمن هنا كانت طاعة الشبان محبوبة عند الله عز وجل وكان ثوابها عظيم وكان الشاب العابد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما سبق ، وكان النشؤ على الطاعة من أول عهد الشباب عزيز المنال قليل المثال والموفق من وفقه الله عز وجل.
وقد صدق القائل :

إن الشباب الذي مجد عواقبه   فيه نلذُّ ولا لذات للشيب

والقائل:

ولذة عيش المرء قبل مشيبه   وقد فنيت نفس تولى شبابها

لذلك كانت عبادة الشباب أعظم لأن مبناها على المجاهدة ولأنها في زمن القوة والتمام وما الشيخوخة كالشباب ، ولله در القائل:

أترجو أن تكون وأنت شيـــخ — كما قـد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب — دريس كالجديد من الثياب

والدريس البالي من الثياب.

ويقول الحافظ اللغوي ابن مكي الصقلي:

أيروم من نزل المشيب برأسه — ما قد تعوّد قبله من فعله
من لم يميز نقصـه في جسمه — في الأربعين فـإنه في عقله

وللحافظ المتفنن أبي سعد السمعاني صاحب كتاب الأنساب تأليف لطيف في ارتحال الشباب ونزول المشيب سماه ذكرى حبيب رحل وبشرى مشيب نزل ، أفاده شيخ مشايخنا أبو غدة رحمه الله في قيمة الزمن.

فضل التوبة

١٠ - فتب إلى مولاك يا إنسان　　　من قبل أن يفوتك الأوان

شرح البيت رقم (١٠)

أمر الناظم في هذا البيت النّاس عامة شيباً وشباباً بالمبادرة إلى التوبة من الذنوب قبل فوات الأوان فقال رحمه الله (فتب) أمر بالتوبة (إلى مولاك) وخالقك (يا إنسان من قبل أن يفوتك الأوان) فلا تنفع التوبة واعلم أن المعاصي يجوز وقوعها من غير المعصوم وأن التوبة منها إثر وقوعها واجب محتوم .

والتوبة في اللغة: العودة والرجوع يقال تاب إذا رجع عن ذنبه وأقلع وإذا أسند فعلها إلى العبد يراد به رجوعه من الزلة إلى الندم يقال تاب إلى الله توبة ومتابا ، أناب ورجع عن المعصية وإذا أسند فعلها إلى الله تعالى يستعمل مع صلة على ويراد به رجوع لطفه ونعمته على العبد والمغفرة له يقال تاب الله عليه غفر له وأنقذه من المعاصي قال تعالى ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (التوبة).

والتوبة اصطلاحاً: الرجوع عن الطريق المعوّج إلى الطريق المستقيم ، قاله القليوبي وعرفها الإمام الغزالي رحمه الله بأنها العلم بعظمة الذنوب والندم والعزم على الترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي . ا هـ .

وقد تطلق التوبة على الندم وحده إذ لا يخلوا عن علم أوجبه وأثمره وعن عزمٍ يتبعه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (الندم توبة) أخرجه أحمد بإسناد صحيح والندم توجع القلب وتحزنه لما فعل وتمني كونه لم يفعل .

وللتوبة شروط أربعة :

هي الإقلاع عن المعصية حالاً والندم على فعلها في الماضي والعزم عزماً جازماً أن لا يعود إلى مثلها أبداً وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي يُشترط فيها رد المظالم إلى أهلها أو تحصيل البراءة منهم ، وصرح العلماء بأنه يشترط في الندم على المعصية أن يكون لله ولقبحها شرعاً وهذا معنى قولهم الندامة على المعصية لكونها معصية ، لأن الندامة على المعصية لإضرارها ببدنه وإخلالها بعرضه أو ماله أو نحو ذلك لا تكون توبة فلو ندم على شرب الخمر والزنى للصداع وخفة العقل وزوال المال وخدش العرض لا يكون تائباً والندم لخوف النار أو طمع الجنة يعتبر توبة كما صرحوا به ولا يشترط في التوبة عدم العود إلى الذنب الذي تاب منه عند أكثر الفقهاء وإنما تتوقف التوبة على الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الجازم على ترك معاودته فإن عاوده مع عزمه حال التوبة على أن لا يعاوده صار كمن ابتدأ المعصية ولم تبطل توبته المتقدمة ولا يعود إليه إثم الذنب الذي ارتفع بالتوبة وصار كأن لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) أخرجه ابن ماجه وحسنه الحافظ ابن حجر لشواهده كما في المقاصد الحسنة للسخاوي .

وتصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره عند جمهور العلماء فالتوبة تتبعض كالمعصية وتتفاضل في كميتها كما تتفاضل في كيفيتها فكل ذنب له توبة تخصه ولا تتوقف التوبة من ذنب على التوبة من بقية الذنوب كما لا يتعلق أحد الذنبين بالآخر وهل يشترط في التوبة إصلاح العمل بعد التوبة قال الجمهور لا يشترط ذلك وفصّل الشافعية فقالوا التوبة نوعان توبة في الباطن وتوبة في الظاهر فالتوبة في الباطن هي ما بينه وبين الله عز وجل وهذه لا يشترط فيها إصلاح العمل بعد التوبة وأما التوبة في الظاهر فهي التي تعود بها العدالة والولاية وقبول الشهادة فإن كانت المعصية فعلاً كالزنى والسرقة لم يحكم بصحة التوبة عند الشافعية حتى يصلح عمله وقدروها بسنة أو ستة أشهر أو حتى ظهور علامات الصلاح أقوال أنظرها في المهذب للشيرازي رحمه الله .

وإن كانت المعصية قذفاً أو شهادة زور فلا بد من إكذاب نفسه وقد علمت أن الجمهور لا يشترطون في صحة التوبة العمل الصالح بعدها إلا أن الحنفية قرروا عدم قبول شهادة المحدود في القذف بعد التوبة مطلقاً لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (النور) .

ووجهه أن الله رد شهادته على التأبيد نصاً ولأن رد الشهادة معطوف على الجملة المتقدمة إلى ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ (النور: ٤) .

وهي حد فكذاهذا فيكون عدم قبول شهادته من تمام الحد والحد لا يرتفع بالتوبة وقال الأئمة الثلاثة تقبل شهادته إن تاب وتوبته بتكذيب

نفسه فيما قد قذف به ، والتوبة من المعصية واجبة شرعاً على الفور باتفاق الفقهاء لأنها من أصول الإسلام المهمة وقواعد الدين وأول منازل السالكين.

وقد أمر الله المذنبين بالتوبة والاستغفار من الذنوب قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (التحريم: ٨) . أي خالصة أو صادقة وقال تعالى ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (النور)

وقال تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (هود: ٣) .

ووعد الله عز وجل التائبين بقبول توبتهم والعفو عنهم والمغفرة للذنوب إذا توافرت شروطها فقال عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الشورى) .

وقال عز وجل ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (المائدة) .

وقال عز وجل ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ (غافر: ٣)

وقال عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران) .

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن الأغر بن يسار المزني قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة) رواه مسلم.

وعند الترمذي حديث (خير الخطائين التوابون) ومن أسمائه عز وجل التواب والغفار والغفور والغافر ، وباب التوبة مفتوح مالم تطلع الشمس من مغربها روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) .

فإذا تاب الإنسان بعد ظهور هذه الأمارة الكبرى لقيام الساعة لا تقبل توبته لأنها تكون توبة اضطرار لا توبة اختيار وإذا أخر المذنب التوبة إلى آخر حياته فإن ظل آملاً في الحياة غير يائس بحيث لا يعلم قطعاً أن الموت يدركه لا محالة فتوبته مقبولة وإن كان قريباً من الموت لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾(الشورى: ٢٥) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر) رواه أحمد وصححه العلامة أحمد شاكر ورواه الترمذي وحسنه وإن قطع الأمل من الحياة وكان في حال الغرغرة وهي حشرجة الصدر عند الموت فذهب الجمهور من الفقهاء ونسب إلى مذهب الأشاعرة إلى أنه لا تقبل

توبة اليائس الذي يشاهد دلائل الموت لقوله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ (النساء: ١٨) .

وللحديث السابق (إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر) .

وقال بعض الحنفية ونسب إلى مذهب الماتريدية أن المؤمن العاصي تقبل توبته ولو في حال الغرغرة وحملوا الآية السابقة والحديث السابق على توبة الكافر ووجه الفرق أن الكافر غير عارف بالله ويبدأ إيماناً وعرفاناً والفاسق عارف وحاله حال البقاء والبقاء أسهل من الابتداء ولا خلاف بين العلماء في عدم قبول توبة الكافر بإسلامه في حالة اليأس ووقت الغرغرة بدليل قوله تعالى حكاية عن حال فرعون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (يونس) .

فبادر أيها المؤمن إلى التوبة قبل أن يغلق الباب ويسدل الحجاب (اللهم تب علينا توبة نصوحاً (آمين).

عدم التسويف

١١- ومن يقل إني صغير أَصبر ثم أطيع الله حين أكـبر

١٢- فـإن ذاك غــره إِبـليس وقلبه مـغلق مطمـوس

١٣- لا خير فيمن لم يتب صغيرا ولم يكـن بعـيبه بصـيرا

شرح الأبيات أعلاه

(ومن يقل) في شبابه (إني صغير أصبر) على التوبة وأمتنع عن الطاعة وأتمادى في اللعب والطيش والولوغ في الملذات وأرتع في الشهوات وأخضع للأهواء واستجيب للنفس الأمارة بالسوء (ثم أطيع الله حين أكبر) في السن وأقترب من الشيخوخة وأدخل في المشيب هذا المسوّف بالتوبة غره وخدعه (إبليس) بالأماني الكاذبة والأباطيل الزائفة والحيل الواهية (وقلب) من هذا حاله قلب مغلّق محكم الغلق بالمغلاق فلا يصل إليه شيء من نور الهداية ولا يتأثر بشيء من الزواجر قال تعالى ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد).

(مطموس) ميت هالك مطموس على بصيرته فهو لا يبصر فحش عيوبه وقبح رذائله وشؤم معاصيه فسام في مراعي الآثام وصال وجال في نواحي الطغيان وظل فريسة الشيطان يستمع إلى وسواسه وينخدع بأباطيله ويقال لهذا المغرور المسوّف بالتوبة ما يدريك يا مغرور لعل سهام المنية تصيبك في عنفوان شبابك قبل المتاب ، ولله در القائل:

وكم فـتـى يصـبح ويمـسي آمنا وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

والموت أقرب غائب ينتظر يفجأ دون علم أو خبر وقد قيل كم من مستقبل يوماً لم يستكمله ومؤمل غداً لم يدركه فيلقى ربه يوم الحساب وهو مثقل الظهر بالذنوب والأوزار وهل اتخذ المغرور عند الله عهداً أن يطيل عمره حتى يكبر ويشيب فاحذر من التسويف وبادر إلى التوبة (فلا خير) فيمن أهمل في عهد الشباب والقدرة قبل الشيخوخة والعجز ولا خير فيمن عمي عن عيوبه ورذائله واستمر في معصيته وغوايته .

وتأمل في هذه الكلمات النفيسة للإمام حجة الإسلام الغزاليّ رضي الله عنه وعنا به في التحذير من التسويف في الإحياء قال رحمه الله تعالى مخاطباً النفس المسوَّفة(أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعرِفيه مخالفة الشهوات ؟ هذا يوم لم يخلقه الله قطُّ ولا يخلقه فلا تكن الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده .

أما تتأملين منذ كم تعِدِينَ نفسك وتقولين غداً غداً ؟! فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدتِه؟ أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم المن ، لا بل ما تعجزين عنه اليومَ فأنتِ غداً عنه أعجزُ وأعجز ، لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تُعُبِّد فيها العبد بقلعها ، فإذا عجز العبد عن قلعها للضّعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرةٍ وهو شاب قوِيّ فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوّة ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً ووهنا ، فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط

في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك ا هـ .

ومن الوصايا النافعة وصية ابن قدامة الحنبلي رحمه الله في اغتنام الوقت حيث قال اغتنم رحمك الله حياتك النفيسة واحتفظ بأوقاتك العزيزة واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة فكل نفس ينقص به جزء منك والعمر كله قصير والباقي منه هو اليسير ، وكل جزء من عمرك جوهرة نفيسة لا عدل لها (أي ليس لها ما يعادلها لنفاستها) ولا خلف منها فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم .

وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعِدل أكثر من ألف عام في النعيم المقيم الذي لا حصر له أو خلاف ذلك وما كان هكذا فلا قيمة له أي لنفاسته لا يقدر بقيمة فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل ولا تذهبها بغير عوض واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تتقرب بها فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا فضاعت منك لحزنت عليها حُزناً شديداً بل لوضاع منك دينار لساءك فكيف تُفرِّطُ في ساعاتك وأوقاتك؟ وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض ا هـ . نقلاً عن قيمة الزمن لأبي غدة رحمه الله رحمة الأبرار .

فاحرص على أن تحفظ على نفسك وقتك من أن يذهب هدراً وسُدى فإن الزمان الذي تعيش فيه ظرف عابر لا يتجدد ولا يعود ولله در القائل :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

قيل للحسن صف الدنيا فقال (أمسِ أجل واليوم عمل وغداً أمل) وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي (الأيام ثلاثة معهود ومشهود وموعود فالمعهود أمس والمشهود اليوم والموعود غداً) .

وقال العلامة ابن الجوزي (يا هذا الأيام ثلاثة أمس قد مضى بما فيه وغدٌ لعلك لا تدركه وإنما هو يومك هذا فاجتهد فيه ولله در من تنبه لنفسه وتزود لرسمه واستدرك ما مضى من أمسه قبل طول حبسه) .

وقال حجة الله على العارفين سهل بن عبد الله التستري (أمسِ قد مات واليوم في النزع وغداً لم يولد) اهـ .

فاحذر التسويف وتأخير الأعمال وتأجيلها من الآفات كما قرر الأئمة الثقات قال العارف ابن عطاء الله في حكمه (إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) والمراد برعونات النفس هنا حظوظها .

ولله در القائل:

تشاغلتُ بالدنيا ونمت مفرِّطا وفي شغلي أو نومتي سُرِق العمر

قال ابن الجوزي رحمه الله (الكسل عن الفضائل بئس الرفيق وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لَذَّة فانتبه واتعب لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عِظة ذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل ا هـ .

وصدق من قال:

دعي نفسي التكاسل والتواني وإلا فالبسي ثوب الهـوان

فلم أر للكسالى الحظّ يجنـي ثماراً غير حـرمانِ الأمـاني

وصدق من قال :

وكم حياءٍ وكم عجزٍ وكم ندمٍ جمٍّ تولّد للإنسان من كسلِ

ولأبي الفتح البستي رحمه الله:

دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

أ ـ هـ

ملتقطاً من قيمة الزمن وفي هذا القدر كفاية (اللهم اعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

الحث على صُحبة الأخيار
والتحذير من صحبة الأشرار

١٤- واختر من الأصحاب كل مرشد إن القرين بالقرين يقتدي

١٥- وصحبة الأشرار داء وعمى تزيد في القلب السقيم السقما

١٦- وصحبة الأخيار للقلب دوا تزيد للقلب نشاطا وقوى

١٧- فإن تبعت سنة النبيء فاجتنبنّ قرناء السوء

شرح الأبيات أعلاه:

(واختر) أيها العاقل الحازم (من الأصحاب) جمع صاحب (كل مرشد) إلى الخير (إن القرين بالقرين) أي المقارن (يقتدي) من الاقتداء وهو الاتباع فالصاحب كما يقال ساحب تأخذ من طبعه ويأخذ من طبعك (وصحبة الأشرار داء) عضال (وعمى) ظلمة (تزيد في القلب السقيم) المريض (سقماً) مرضا (وصحبة الأخيار) الأتقياء الأصفياء الأبرار (للقلب دواء) وشفاء (تزيد للقلب نشاطاً) في الطاعة والعبادة (وقوى) أي تزيد القلب قوة على عمل الخير والبر والإحسان (فإن تبعت) أيها الموفق (سنة النبي) المصطفى صلى الله عليه وسلم فسنته وهديه الشريف اجتناب

(قرناء السوء) لِعظم خطرهم وتفاقم ضررهم وسريان عَدْوَاهُم المهلكة إلى أصحابهم وجلسائهم يشير إلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) رواه الترمذي عن أبي هريرة .

وقوله صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب) رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه رائحة طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) متفق عليه .

ومعنى يحذيك بفتح ياء المضارعة يعطيك فاتبع أيها العاقل الحازم اللبيب هدي النبي الكريم في صحبة الأبرار فإنها شفاء للقلوب من أمراضها ووقاية للنفوس من أهوائها تهدي إلى الحق وتعين عليه وتقوي الرغبة في الخير والحرص عليه واحذر واجتنب صحبة الأشرار الغاوين فإنها داء وبيل وعماية عن سواء السبيل تصدّ عن الحق والهدى وتقود إلى الباطل والردى وتحول دون الخير وتحرض على الشر .

فإن كل قرين بالمقارن يقتدي ، فمن حزم الرأي والحيطة في الأمر قبل عقد الصحبة أن تفتش عن أحوال من تريد صحبته فإذا وجدته على خير وصلاح وعقل راجح واستقامة في دينه وخلقه وسيرته فاتخذه صاحباً وخليلاً وإلا فجانبه واحترز منه فإن ضرره أعظم من نفعه ، قال حجة الإسلام

الغزالي رضي الله عنه وعنا به إذا أردت صحبة أحد فراعِ فيه خمس خصال العقل ، والخلق الحسن ، والصلاح ، وأن لا يكون حريصاً على الدنيا وأن لا يكون كذابا . ا هـ .

ونقل شيخنا محمد عوامه حفظه الله في شرح الأحاديث القدسية كلاما نفيساً للعلامة الحكيم الراغب الأصفهاني في الذريعة إلى مكارم الشريعة نقله شيخنا بطوله لنفاسته وها أنا أنقله لك بطوله لتنتفع به قال رحمه الله حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار فهي قد تجعل الشرير خيّراً كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخيِّر شريرا قال الحكماء من جالس خيَّرا أصابته بركته فجليس أولياء الله لا يشقى وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف حيث قال عز وجل ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ .

ولهذا أوصت الحكماء بمنع الأحداث من مجالسة السفهاء وقال علي أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه (لا تصحب الفاجر فيزين لك فعله ويَوَّد أنك مثله) .

وقيل جالسوا من تذكرِّكم اللهَ رؤيته ويزيد في خيركم نطقه ، وقالوا إياك ومجالسة الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تدري بل قال صلى الله عليه وسلم (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك ـ أي يعطيك ـ وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه رائحة طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة) قال شيخنا هذا لفظ البخاري وذكره الراغب بغير هذا اللفظ فأثبت لفظ البخاري .

وقال صلى الله عليه وسلم (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) أي يجذبه خليله إلى دينه ومن قوة هذا المعنى في النفوس شاع على الألسنة قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وليس إعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل وبالنظر إليه فالنظر في الصور يؤثر في النفوس أخلاقاً مناسبة إلى خُلق المنظور إليه فإن من دام نظره إلى مسرور سرّ ومن دام نظره إلى محزون حزن ، وذلك ليس في الإنسان فقط بل وفي الحيوان وسائر النبات فإن الجمل الصعب قد يصير ذلولاً بمقارنة الذلول والذلول يصير صعباً بمقارنة الصعاب والريحانة الغضّة تذبل بمقارنة الذابلة ولهذا يلقُط أصحاب الفلاحة الرِّمم العظام البالية عن الزروع لئلا تفسدها ومعلوم أن الهواء والماء يفسدان بمجاورة الجيفة إذا قرُبت منهما وذلك مما لا ينكره أصحاب التجربة ، وإذا كانت هذه الأشياء قد بلغت في قبول التأثير هذا المبلغ فما الظن بالنفوس البشرية التي موضوعة لقبول صور الأشياء خيرها وشرها ؟! انتهى .

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي جحيفة قال (جالسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلو العلماء) وروى ابن أبي شيبة عن جعفر الخطمي أن جده وهو عمير بن حبيب أوصى بنيه فقال (يا بنيّ إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء إنه من يحلُم عن السفيه يُسر بحلمه ومن يجبه يندم

ومن لا يقرُّ بقليل ما يجيء به السفيه يقرّ بالكثير وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى فإنه من يصبر لا يجد للأذى مّساً) وروى ابن أبي شيبة عن أبي قلابة قال : قال أبو الدرداء (إن من فقه الرجل ممشاه ومدخله) قال أبو قلابة قاتل الله الشاعر حيث يقول :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   وكل قرين بالمقارن مُهتدي

قال شيخنا محمد عوامه حفظه الله وقول أبي قلابة قاتل الله الشاعر جاء منه على معنى التعجب من الشيء كقولهم تربت يداه قاله في النهاية وأصل البيت مع بعض المغايرات من معلقة طرفة بن العبد ، وروى ابن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن مرّة أو هبيرة قال :قال عبد الله (اعتبروا الناس بأخدانهم) . ا هـ .

فمن أعظم مظاهر الهداية للعبد أن يوفقه الله عز وجل لصحبة الأخيار واتخاذ القرناء الصالحين الأبرار قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة) .

وقال عز وجل ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾(آمين) (الفاتحة) .

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم سبطه وريحانته سيدنا الحسن رضي الله عنه دعاء القنوت وأوله (اللهم اهدني فيمن هديت) رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذي .

واعلم أن الحكماء والمشتغلين بتهذيب النفوس نبهوا إلى أن صحبة الأخيار وأهل الصلاح وسيلة لا غاية فلا ينبغي للعاقل أن يشتغل بالوسيلة عن الغاية .

قال الحافظ المناوي رحمه الله في فيض القدير قال الجنيد دخلت على السري السقطي وهو خال الجنيد وهو يجود بنفسه في حالة الاحتضار فجلست وبكيت فسقطت دموعي على خدِّه ففتح عينيه ونظر إليّ فقلت أوصني قال (لا تصحب الأشرار ولا تشتغل عن الله بمخالطة الأخيار). اهـ .

قال شيخنا محمد عوامه حفظه الله معلقاً على القصة التي ذكرها المناوي رحمه الله فنبهه إلى أن صحبة الأخيار للدلالة على الله تعالى فإذا حصلت لك فلا تبقى متشاغلاً بصحبتهم عما وصلتَ إليه بزعم أن صحبتهم خير ومخالطتهم فضيلة فتبقى فيما كنت عليه ولا ترتفع إلى مقام أعلى وكذلك لا تنسى فضلهم عليك فلا تلتفت إليهم بالوفاء لهم ، وانظر إلى همة الجنيد رضي الله عنه فإنه لم يشأ أن تفوته فرصة الاستفادة من خاله وهو في حالة النزع وسياق الموت وهو يبكي عليه ودموعه تتساقط على خدّه بل اهتبل الفرصة فسأله وصية غالية هي وصية مودعٍ ومودَّع وانظر إلى أثر الصحبة في نفوس القوم فإنه آثرها على أي وصية سواها وهو في هذه الحال آخر لحظة من لحظاته مع ابن أخته وخلِيفته من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم . اهـ .

والله أعلم .

بماذا تحب أن تلقى الله عز وجل

١٨ - يا أيها الغـفـلان عن مولاه   أنـظـر بـأي سـَيءٍ تـلـقـاه

شرح البيت رقم (١٧)

في هذا البيت إيقاظ وتنبيه للغافل بعد ما سلف من النصائح والمواعظ والترغيب والترهيب والحث والتحذير يقول الناظم (انظر) وتدبر وتفكر (أيها الغافل عن) ذكر (مولاه) الذي خلقه فسوّاه ومن خزائن فضله وكرمه اعطاه كيف حالك إذا وقفت بين يدي الملك الديان (بأي سيء) من أعمالك السيئة في الدنيا تلقاه في ذلك اليوم الموعود والموقف المشهود ما أنت قائل لربك عند وضع الميزان عند حضور صحف الأعمال ما أنت قائل لمولاك عند مناقشة الحساب حينما يسألك ربك عما أسلفت من نسيان لله وعصيان وجحود وكفران عندما يسألك عن النقير والقطمير والقليل والكثير والصغير والكبير مما قدمت في دنياك وبه قدمت على مولاك ونُشرت على الملأ صحائفك السوداء وفُضِحت في الجمع بأعمالك النكراء وتصرفاتك العرجاء أتستطيع عند ذلك الفرار من بين يدي الملك القهار الجبار ؟ أو تستطيع الإنكار والجحود والله الرقيب والصحف منشرة والملائكة شهود والجوارح ناطقة قال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق).

وقال عز وجل ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (ق) .

وقال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (يس) .

وقال عز وجل ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف) .

كلا ما لك إلى الفرار أو الإنكار سبيل ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ (القيامة) .

وقال عز وجل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة) .

وقال تعالى ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (البقرة) .

(اللهم تب علينا واختم بالخيرات والصالحات أعمالنا وآجالنا واجعل خير أيامنا يوم لِقاك) (آمين)

تنبيه: في بعض النسخ

يا أيها الغافل عن مولاه　　　انظر بأي عمل تلقاه

الإستعداد للموت

١٩ – أما علمت ان الموت يأتي مسرعا ولـيـس للإنـسـان إلا مـا سـعـى

شرح البيت رقم (١٩)

(أما علمت) أيها الغافل عن ربك الغارق في بحر شهواتك (أن الموت) وهو مفارقة الروح للجسد (يأتي مسرعاً) لينقلك من دار الدنيا إلى عالم البرزخ (وليس للإنسان إلا ما سعى) في دنياه وقدم لأخراه فأفق يا غافل من سكرتك وتيقظ من نومتك فالموت آتٍ لا محالة وسهام المنون ستصيبك مهما طالت بك السنون قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧ ﴾ (العنكبوت) .

وقال عز وجل ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ (النساء) وقال عز وجل ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ﴾ (الزمر) .

وقال عز وجل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ (الرحمن) .

وقال عز وجل ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص: ٨٨) .

والقبر الموحش أول منازل الآخرة والسؤال فيه لكل امريء حق ثابت معلوم وعلى حسب الأعمال يبقى روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر

النار إلى يوم القيامة ، تأمل يا مسكين قول ربك في محكم آياته ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الطور) .

وقال عز وجل ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم).

وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الانشقاق) .

وقال عز وجل ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الإسراء) .

وقال عز وجل ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحاقة) .

فليس لأحد فرار من لقاء ربه ولا من حسابه وجزائه فإما نعيم مقيم وإما عذاب أليم وإما جنة وحبور وإما نار وحرور ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

يبقى بعد الموت عملك

٢٠- وليس للإنسان من بعد الأجل   إلا الـذي قــدمــه مــن الـعــمــل

شرح البيت رقم (٢٠)

(وليس للإنسان) من بعد مصرعه وتصرم عمره وانقضاء أجله (إلا) العمل (الذي قدمه) فعملك هو أنيسك أو موحشك هو منجيك أو موبقك هو الماثل بين يديك يعرض عليك حسنه وقبيحه خيره وشره دقيقه وجليله كل ذلك العمل تجده في صحف منشرة قال تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ (الانفطار) .

وقال عز وجل ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (الحشر: ١٨) .

هذا العمل يصحبك في قبرك عن أنس رضي الله عنه قال :قال ر سول الله صلى الله عليه وسلم (يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله) متفق عليه .

وستحاسب على عملك يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (آل عمران) وقال عز وجل ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (آل عمران) .

(اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة) (آمين اللهم آمين) .

المبادرة إلى التوبة

٢١- فبادر التوبة في إمكانها من قبل أن تُصدّ عن إتيانها

شرح البيت رقم (٢١)

بعد أن قرع الناظم أسماع الغافلين بالموعظة الصادقة وجه الدعوة إلى المبادرة بالتوبة في وقت إمكانها قبل أن يُصد الباب وقد علمت أن التوبة لا تقبل عند طلوع الشمس من مغربها لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) وعلمت أن الكافر لا تقبل توبته بالإسلام عند الغرغرة اتفاقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر) رواه الترمذي وحسنه .

أما العاصي ففيه خلاف قال الجمهور بعدم قبول توبته وقال بعض الحنفية بقبول توبته وقد سبق تقرير ذلك فلا تكن من الغافلين فبادر إلى التوبة النصوح فهي باب الرحمة والصلاح ومفتاح الخير والفلاح قال تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنعام: ٥٤) .

(اللهم تب علينا لنتوب يا حي يا قيوم)

التحدير من ترك العمل الصالح

٢٢- يا أيها المغرور ما هذا العمل　　　إلى متى هذا التراخي والكسل

شرح البيت رقم (٢٢)

(المغرور) هو الذي غره الشيطان وخدعه (ما هذا العمل) السيء الذي اقترفته وعصيت ربك به (إلى متى هذا التراخي) أي التقاعس والتأخر عن التوبة (والكسل) عن الطاعة والعبادة ففي البيت تنبيه وتأنيب وتقريع لذلك الغافل المغرور الذي غرته الأماني الباطلة وأغوته المفاتن الزائلة وخدعته الزخارف الزائفة ووقع في حبال الشيطان واقترف المعاصي دون حساب ليوم الحساب فهو في صمم عن النُذُر وفي صدود عن الزواجر وفي تقاعس عن المتاب وفي تكاسل عن الطاعة والعبادة والإقبال على رب الأرباب مع أن الموت حق وأنت أيها الغافل ملاقيه حتماً وبعد الموت بعث وحشر ونشر وميزان وحساب وما كان ربك نسيا وهو العليم الخبير .

مرارة الموت

٢٣- لو يعلم الإنسان قدر موته ما ذاق طول الدهر طعم قوته

شرح البيت رقم (٢٣)

لو تأمل الإنسان مرارة الموت وسكراته وما يعقبه من مفارقة أهله وأحبابه وضمة القبر ووحشته والسؤال فيه وفتنته ولو أدرك أن من عصى ربه وأساء في دنياه ولم يتزود بصالح العمل لأخراه يظل في قبره قلقاً ملتاعا ما شاء الله لو تأمل الإنسان هذا لذهبت نفسه حسرات وأقبل على طاعة ربه وترك الشهوات وهجر الرغبات واكتفى باللقيمات وشمر عن ساعد الجد للطاعات وعلى العمل بما فيه رضى الله لينجو بنفسه من غضب الله وليفوز برضوان الله .

عن أنس قال خطبنا رسول الله خطبة ما سمعت مثلها قط فقال صلى الله عليه وسلم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين) متفق عليه الخنين البكاء مع الغنة وانتشاق الصوت من الأنف قال الحافظ والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التي تقع عند النزاع والموت وفي القبر ويوم القيامة . ا هـ .

وفي لفظ الترمذي وحسنه (والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصُعدات تجأرون إلى الله تعالى) .

وعند الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) رواه الترمذي وحسنه .

والقرن هو الصور الذي قال الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ (يس: ٥١) كذا فسره رسول الله قاله النووي .

وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينجح منه فما بعده أشد) قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

فعليك أيها الإنسان الغافل أن تكثر من ذكر هادم اللذات لقوله صلى الله عليه وسلم(أكثروا من ذكر هادم اللذات) رواه الترمذي وحسنه .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمجلس وهم يضحكون فقال (أكثروا من ذكر هادم اللذات أحسبه

قال فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه ولا في سعة إلا ضيقه عليه) رواه البزار بإسناد حسن .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار فقال يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم الناس قال (أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في الصغير بإسناد حسن ورواه ابن ماجه مختصراً بإسناد جيد قاله المنذري .

(اللهم اجعلنا من الأكياس الذين ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ولا تجعلنا من الحمقى الغافلين) (آمين اللهم آمين) .

لا تكن قاسياً كالحجر

٢٤- مالـي أراك لم تـفـد فـيك العبر ‌ ‌ ‌ ويحك هذا القلب أقسى من حجر

شرح البيت رقم (٢٤)

(مالي أراك) أيها الغافل عن طاعة ربك (لم) تعد تؤثر وتنفع فيك العِبر والعظات (ويحك)كلمة ترحم على هذا المسكين التائه (هذا القلب أقسى من حجر) يجوز أن تكون جملة خبرية ويجوز أن تكون جملة استفهامية بحذف حرف الاستفهام وهو التفات في الخطاب إلى من لم تنفعه النصائح ولم ترققه المواعظ ولم تزجره القوارع ولم (تفد) فيه (العِبر) وهي أبلغ من الخبر عسى أن يرق قلبه وينشرح صدره ويعود إلى ربه تائباً طائعاً عاملاً صالحاً .

قال تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

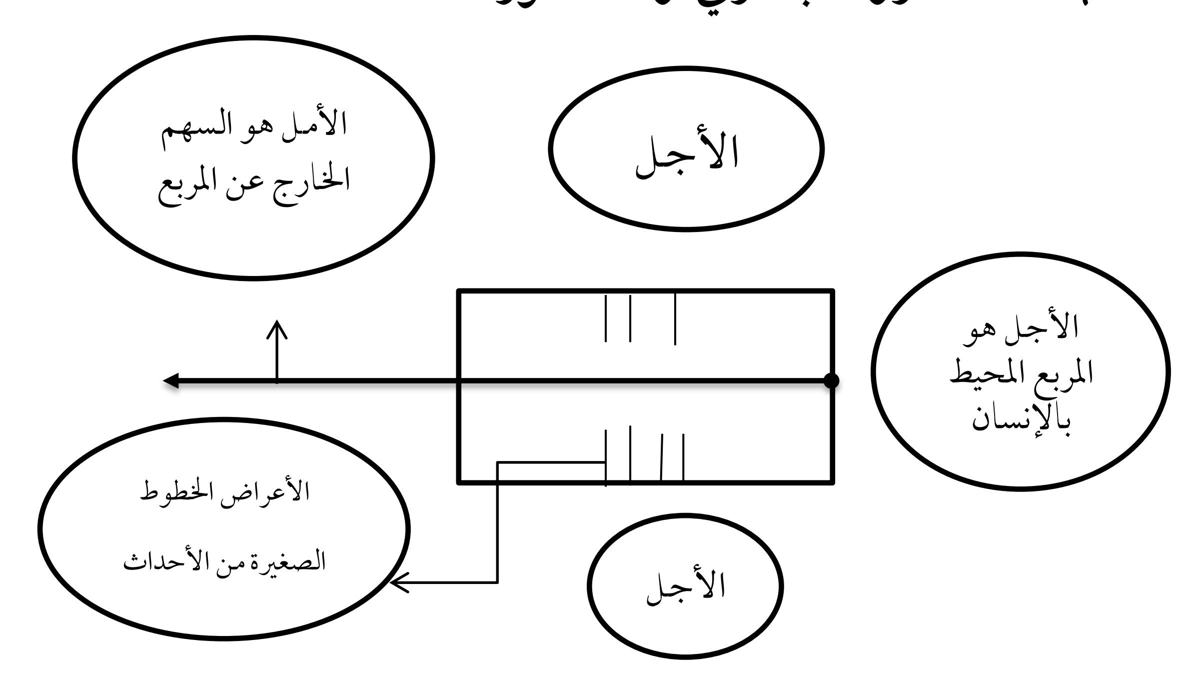
حقيقة المفلس

٢٥ وأفلس الناس طويل الأمل   مضيع العمر كثير الخطل
٢٦ نهاره يمضيه في البطاله   وليله في النوم بئس الحاله

شرح البيتين أعلاه

(وأفلس الناس) أكثرهم إفلاساً والمفلس عرفاً من لا مال له وأفلس الناس من أصيب بالداء الخطير وهو (طول الأمل) في الحياة والصحة والعافية والنعيم هذا الداء الخطير يصيب ضعاف النفوس خفاف العقول فيضيع العمر فيما لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة لذلك قال الناظم (مضيع العمر) أي مفنيه فيما لا منفعة فيه لا دنيوية ولا أخروية و (الخطل) الكلام الفاسد الكثير ورجل خَطِل أي أحمق ومن شأن من ابُتلي بطول الأمل أن ينسى الآخرة ومن نسيها لم يعمل لها ومن لم يعمل لها قدم إليها مفلساً من الأعمال الصالحة ومن طال أمله لم يبال بسوء عمله ولم يأبه لكثير خطَله وفاحش خطئه وأضاع عمره في غير نافع (فنهاره يقضيه في البطالة) بفتح الباء الهزل والمجون والباطل كله (وليله) يضيعه (في النوم بئس الحالة) هذه الحالة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) رواه البخاري .

قال الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين بعد إيراد حديث ابن عمر قالوا في شرح هذا البيت معناه لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق ا هـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال (خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خُططا صِغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال هذا الإنسان وهذا أجله مُحِيطاً به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الـخُـطَـطُ الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا) رواه البخاري وهذه صورته .



(اللهم حسن ختمنا وبصرنا بعيوب أنفسنا وارزقنا العمل على إصلاحها)

(آمين)

الخاتمة

٢٧- فادع لنا يا سامعاً وصيتي	بالعفو والختام بالشهادة
٢٨- ثم صلاة الله والسلام	ما ناح طير الأيك والحمام
٢٩- على النبي المصطفى البشير	الهاشمي المجتبى النذير
٣٠- وآله ما انبلج الصباح	وصحبه ما هبت الرياح

شرح الأبيات أعلاه

٢٧- طلب الناظم من سامع وصيته أن يضرع إلى الله عز وجل بالدعاء للناظم بالعفو عن الزلات وبالخاتمة الحسنة بالشهادة في سبيل الله عز وجل.

٢٨/ ٣٠- ختم الناظم منظومته المباركة بالصلاة والسلام على النبي المصطفى (البشير) من البشارة (الهاشمي المجتبى) كالمصطفى وزنا ومعنى (النذير) من النذارة (وآله) وهم في مقام الدعاء أمة الإجابة و الهاشمي نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف و (الأيك) الشجر الملتف الكثير و (الحمام) الطائر المعروف وعطف الحمام على الطير من عطف الخاص على العام و (انبلج) أضاء وأنار .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(آمين)

فهرسة الكتاب